قواعد تربوية

رمضان ١٤٤٤

تقديم

أناهيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

قواعد تربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِـلْـمٌ يُـنْـتَـفَـعُ بِــهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم السبت 10 رمضان

(سورة الأنفال 45- 46)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا، نسأله عز وجل كما أنزل القرآن، وجعل في قلوب أوليائه الإيمان، وأدبهم بأدب القرآن، نسأله أن يجعلنا من أوليائه المؤدين، الذين تأدبوا بأدب القرآن، وساروا على هديه ووصلوا إلى رضا ربهم العظيم، الله عز وجل أنزل هذا القرآن لنتأدّب به ولنجعل آياته العظيمة مرشدة لنا إلى الطريق المستقيم، القرآن يعلم أهل الإيمان ويؤدبهم الأدب الذي يرضي الرحمن، كيف لا وهذا كلام ربنا العظيم، كلام ربنا الذي امتدحه وامتدح تاليه وحافظه، ومتدبره والعامل به.

هذا الكتاب الذي أدّب رب العالمين رسوله الكريم به ﷺ. وأدّب رسولنا الكريم الصحب الكرام بهذا الكتاب، فكانوا ما كانوا في تاريخ الأمم.

هؤلاء الصحب الكرام الذين تأدّبوا بالقرآن كانوا في كل باب من أبواب الأدب متصدرين.

الصحب الكرام الذين أدبهم رسول الله ﷺ بالقرآن نجوما في السماء يهتدى بهم، رضي الله عنهم أجمعين. وقد كانوا في كل باب هم الرجال، وخاصة في باب الشجاعة الإيمانية والائتمار بأمر الله وامتثال ما أرشدهم الله، كانوا نموذجا لا يتكرر، نموذج لم يكن لأحد قبلهم ولا لأحد بعدهم،

فإنهم ببركة طاعة الرسول ﷺ، وتأدبهم بالأدب الذي أدبهم به الرسول ﷺ فتحوا القلوب الأقاليم شرقا وغربا في مدة يسيرة مع قلة عددهم بالنسبة لسائر الجيوش، سواء كانوا من الروم أو الفرس أو الترك وغيرهم.

علت كلمة الله على أيديهم، وظهر دينه على سائر الأديان بسببهم في أقل من ثلاثين سنة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، رضي الله عنهم وصلى وسلم على نبينا الكريم الذي تأدب بالقرآن، أدبه رب العالمين فكان النموذج الأكمل من البشر، وهو ﷺ أدّب أصحابه بهذا الكتاب العظيم، فعلينا أن نعامل هذا الكتاب معاملة من وجد كنزا فبقي ينظر إليه ويتأمله ويراجعه، ويأخذ منه ما يتحلّى ويتجمّل ويتزيّن به، ويعلم أن هذا الكنز لا ينفد وليس ليد سارق أن تصل إليه، ولا ينهب، وليس ليد مجرم أن يقطعه ويقطع أثره على قلوب العباد، فالحمد لله رب العالمين على نعمة القرآن، الحمد لله على نعمة الإيمان، الحمد لله على نعمة الإقبال على هذا الكتاب وتدارسه، نعم عظيمة نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين، وأعظم الشكر الأخذ من معين هذا الكتاب والتأدب بأدبه.

وها نحن اليوم بفضل الله نتدارس آيات من **سورة الأنفال** ونتأدب بها ونرى كيف أنها **تعطينا قاعدة مهمة من قواعد التربية، وتكون سببا لشجاعتنا الإيمانية**، فإن أهم ما يحتاج القلب في حال تربيته أن يكون شجاعا وأن يبعد عن أن يكون جبانا، فإن أعظم الهزائم، هزائم النفس، هزائم الفكر، أن تكون خاضعا بقلبك وفكرك لغير الحق.

فاليوم كلنا بحاجة لأن نقوي قلوبنا على الحق ونكون شجعانا في تعلمه وفي العمل به وفي الدعوة إليه، يجب أن تكون عندنا الشجاعة لتربية

أنفسنا ومن تحت أيدينا على الحق، لا نجبن ولا نخور أمام الفتن إنما نقوى ونتعاون أمامها، وهذه الآيات من سورة الأنفال سترشدنا رب العالمين ماذا قال لنا، وكيف أدبنا، وكيف بهذا الأدب نسير على ما أدب الله به نبينا ﷺ، وأدب به نبينا أصحابه الكرام فكانوا ما كانوا، كما تبين لنا، نسمع الآيات ثم نرى كيف أنها تربينا ونرى كيف أنها تتضمن قواعد تربوية غاية في الأهمية:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46))

هذه الآيات العظيمة المباركة تخبرنا خبرا مهما يحتاجه الإنسان في كل حياته، **تخبرنا بالثبات إذا واجهنا أي فئة تريد أن تضلنا عن الطريق.**

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أنتم مؤمنين، إذا لقتم فئة تريد أن تضلكم عليكم بهذه الأفعال.

(لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) هذا سبب لفلاحكم، فإذا هاجمتكم فتنة ودخلت إلى بيوتكم ورأيتم آثارها على نفسكم وعلى أبنائكم، لا تجبنوا ولا تخوروا، لا بد أن تثبتوا، فانظروا إلى هذه الآداب التي سنتأدب بها أمام كل فتنة يمكن أن تهجم علينا، أمام كل أمر يمكن أن يضعف إيماننا، نحن أو ذرياتنا، نحن ومن تحت أيدينا، نحن ومجتمعنا، ماذا نفعل يا ربنا إذا لقينا هذه الفتنة وهجمت علينا؟ أدبنا سبحانه وتعالى بهذا الأدب:

الأمر الأول الثبات وهو أن نوطن أنفسنا على مواجهة المشكلة ولا نحدث أنفسنا بالتولي والهروب والانسحاب.

والأمر الثاني أن نذكر الله كثيرا.

المطلوب منا أن نكون شجعانا نثبت أمام هذه المشكلة، أمام هذه الفتنة، أمام هذا التيار، ولا نحدث أنفسنا بالفرار أبدا، بل لا بد من الثبات والمقاومة، ثم يأتي الأمر الثاني الذي هو غاية في الأهمية وهو ذكر الله.

نلاحظ أن رب العالمين نادانا في أول الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أنتم قوم مؤمنين فأكيد أنكم مستعدين لامتثال ما يأمركم به رب العالمين، لأن أخص صفات المؤمنين أنهم يتلقون أوامر رب العالمين برحابة صدر، بل يشتاقون أن يعرفوا ماذا يأمرهم رب العالمين في هذه المواقف.

لما نادانا بهذا النداء وعرفنا الأمر الأول المطلوب منا أن نثبت ونبقى في مكاننا ولا نتزلزل ولا نتردد ولا نتحرك. الأمر الثاني أن نذكر ربنا (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) فهذا أمر عظيم، يدل على أن الإنسان الذاكر لله وقت ما تقبل عليه الفتن، الذاكر بقلبه ولسانه إنسان معظم لله.

ما المقصود بذكر الله؟ نذكر بلساننا ونذكر بقلوبنا. **ما ذكرنا بقلبنا؟**

نذكر أن الأمر بيد ربنا، وأنه عز وجل، هو المزيل للفتن وهو الهادي إلى الطريق، وهو الذي يُدعى ويُسأل ويُرجى أن يقلب القلوب على الإيمان، أن يثبتها على اليقين، ألا يزيغها بعد أن هداها، فتذكر الله وقلبك ممتلئ أن الأمر بيد الله.

ثم يأتي ذكر اللسان الناتج عن هذا، أهل الإيمان أولياء الرحمن يذكرون الله بلسانهم فيسبحون ويكبرون ويهللون، ويذكرون نفسهم بألسنتهم بما لهم مع الله من علاقة، بحيث أن نفوسهم تطمئن.

مثلا يقولون لأنفسهم (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)، فيحصل من تكرار مثل هذه الآيات الكريمات، وهذه الأوصاف العظيمة لرب العالمين هذه العلاقة التي بين المؤمن وبين ربه،

يحصل رطوبة في القلب وهدوء وطمأنينة وسكينة لما يذكر الإنسان ربه فيسبح ويكبر ويهلل ويردد مما عرف وفهم من كلام الله، عز وجل ما يطمئنه ويشرح صدره.

يقول لنفسه (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) فيكون ذاكرا بالتسبيح والتكبير والتهليل، ذاكرا بتذكير نفسه بصفات رب العالمين، وبوعود رب العالمين ما يكون سببا لنزول السكينة على النفس، وأيضا يكون في ذكره داعيا الله، "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، يا ربنا اهدنا واهد ذرياتنا، يا ربنا "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَينَا الإيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَينَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ" لنا ولذرياتنا ولمجتمعنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيكرر مثل هذه الأذكار دعاء ورجاء وطلبا للمعونة من الله. هذا أدبان:

الأول أن لا ننسحب من المواجهة، أن نكون مواجهين، نثبت، نأمر، ننهى، نبين، نعلم. لما تهجم الفتنة نثبت أمامها، لكن نحن أمام هذا التيار العظيم لا نستطيع، (اثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ) بقلوبكم أن الهداية بيده، أن نصر الحق بيده فهو العزيز الحكيم، أن الصلاة إنما هو إصلاح الله، اذكروا بألسنتكم بالتسبيح والتكبير والتهليل والصلاة على الرسول، صلى الله عليه وسلم.

واذكروا بألسنتكم بالدعاء أن يهدي الخلق وأن يثبتنا ويرشد أبناءنا، وبسؤال الله الحول والقوة على الثبات، ومن أراد أن يكون من الفالحين فليمتثل هذان الأمران. (اثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) الكثرة أمر مهم.

(لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) هذه الأعمال سبب لفلاحكم، سواء حصل ما تريدون من هداية أنفسكم هداية كاملة أو من هداية أبنائكم وذريتكم ومجتمعكم أو لا زال الأمر فيه صعوبة، هذا طريق الفلاح، هذا لأنفسكم (اثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ).

أيضا ماذا تفعلون من أجل أن تواجهوا هذه الفتن؟ (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) هذا هو الأمر **الثالث**، أطيعوا الله ورسوله في سائر ما يأمركم به، لأنه لا يوجد نشر للحق ومواجهة للفتن إلا مع التمسك بسائر الطاعات، أنت يا مؤمن تريد أن تصل إلى أن تثبت في الطريق، وتريد أن تكون من المفلحين، عليك أن تطيع رب العالمين، أطع الله وأطع الرسول وقم بكل الأعمال التي أمرت بها، لا تكن أنت بنفسك مهمل لطاعاتك، لا تطلب صلاح مجتمعك وصلاح أبنائك وأنت بنفسك لست مطيعا لرب العالمين.

فعلينا أن لا نفتر عن ذكر ربنا مهما كان شغلنا ومهما كان همنا، علينا أن نلتجئ إليه عند الشدائد، ونقبل عليه بكليتنا ونفرغ بالنا، ونثق أن لطفه لا ينفك عنا في حال من الأحوال، ونطيعه في كل ما يأمرنا وكل ما ينهانا، نطيعه ونطيع رسوله، وهذا أمر غاية في الأهمية، فلا عذر للإنسان المؤمن وقت ما تثور الفتن، ويلقى فئة من فئات البغي والباطل، ويلقى فكرة من أفكار أهل الفساد، لا عذر له في تركه طاعة الله، بل عليه أن يشتد في طاعة الله، عليه أن يزيد في طاعة الله.

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) كونوا من أهل طاعته، نوعوا في طاعاتكم، أكثروا من نوافلكم، اجمعوا قلوبكم في فرائضكم، قوموا ليلكم، أكثروا الإنفاق، أطيعوا الله يزيل عنكم الله الشر الذي يمكن أن يصيبكم بسبب فتن الدنيا، أنتم أطيعوا الله يعينكم الله على نشر الحق، أنتم أطيعوا الله يصلح الله لكم ذرياتكم.

فلنعلم أن هذا الأمر مطلوب منا أولا في جميع أحوالنا، ثم يأتي المنهي عنه، وهو أمر في غاية الأهمية والخطورة. نتصور هذا الأمر بعد ما

نتصور أن رب العالمين يحب منا أن نجتمع لمصالحنا، لمصالح أمتنا، لمصالح بلادنا.

لا بد أن نذكر نفسنا بما يريد منا رب العالمين أمام انتشار الفتن، يريد منا رب العالمين أن نجتمع، أنت وأنا والجار والمعلم كلنا مهمومين بصلاح أبنائنا خائفين من الفتن، نشعر أنهم يتخلون عن القيم، نشعر أنهم يبتعدون عن الاستقامة، نرى مظاهر خلل، **فلنجتمع جميعا من أجل إصلاح مجتمعنا.**

اجتمعوا وتبادلوا الآراء وكونوا معتنين بالمقصود الأساس وهو صلاح أنفسنا وصلاح من تحت أيدينا. هؤلاء المجتمعين ما الذي يواجههم؟ مشكلة جديدة، هم مجتمعين للإصلاح، موضوعهم وقضيتهم الإصلاح، همهم واحد، لكن هل تظن أن الشيطان يتركهم ولا يثير عليهم طباعهم؟ بل يتسلط عليهم الشيطان، لذلك رب العالمين يؤدبنا ويربينا ويعلمنا ويوجهنا ويرشدنا كيف نتصرف؛ لما تجتمع النفوس التي تريد الصلاح ويتسلط على هذه النفوس الشيطان يجد عند الناس طباع تجعله يسيطر عليهم، لذلك قال الله عز وجل: (وَلَا تَنَازَعُوا) بعد أن اجتمعتم لأجل الله تتنازعون؟

وانظر لكلمة (وَلَا تَنَازَعُوا)، هذه الكلمة في أصلها أن كل واحد يريد نزع ما لصاحبه من رأي وإثبات ما له هو من رأي، أريد أن أنزع رأيه من المقدمة والصدارة والقبول وأضع رأيي بدل عنه، وفيه ضرر عظيم، بل فيه دليل أن النيات انحرفت، وأن المقاصد اختلفت، وأن الناس اجتمعوا، في ظاهر الأمر لله، ثم انحرفوا فأصبحوا يريدون إظهار أنفسهم، ويا لخيبة من مال إلى هذا!

لما ربنا نهانا عن التنازع كان المقصود أن نحصِّل الأسباب العكسية فنتفاهم ونتشاور فليراجع بعضكم بعض حتى تصدروا عن رأي واحد، اجعلوا لكم قائد حتى ترجعوا إليه. هذا أمر مهم جدا، التنازع في الأصل ينشأ عن اختلاف الآراء وهذا أمر موجود في فطرنا، في خلقتنا، في طباعنا، اختلاف آراءنا هذا أمر طبيعي، لكن التنازع الناشئ عنه هو الأمر المذموم، كل منا عنده رأي وهذا طبيعي، لأني رُكِّبت بطريقة وأنت ركبك رب العالمين بطريقة، كل منا ركب بطريقة تدل على عظمة رب العالمين، ومهما كنا نشعر أننا متفقين إلا أن كل منا له خصوصية في النظر للأمور تؤثر عليه البيئة والتعلم والطباع، وأمور كثيرة.

والإنسان لا يرى نفسه بصورة صحيحة فالآخرين هم الذين يرونه ويرون أثر آراؤه، فلما نجتمع كل منا سيقول ما يراه نافعا في هذا الموضوع، إلى هنا شيء طبيعي أن نكون مختلفين، لكن الممنوع أن كل منا يريد أن ينزع رأي الآخر ويضع رأي نفسه، لأن هذا يدل على شيء في النفس، مقصد غير الذي اجتمعنا من أجله.

لذلك رب العالمين بسط القول في بيان الأثر السيء من هذا الأمر (فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) **فحذرنا من أمرين** الفشل وذهاب الريح.

الفشل انحطاط القوة، يصلح ما عندك قوة، هذا مثل، الله يحفظنا ويحفظ المسلمين، لما يقال عنده فشل في القلب، أو فشل لوي، الفشل في القلب معناه أن القلب لا يستطيع دفع الدم، وهنا يحصل الخطر ويموت الإنسان إذا قوي عليه هذا الفشل ولم يساعده أحد، فحقيقة الفشل هو انحطاط القوى، القلب يفشل يصبح ما عنده قوة على دفع الدم. وهذه المجموعة التي اجتمعت من أجل أن تدفع هذه المشكلة أو الفكرة أو هذه الفتنة عن المجتمع أو الشباب أو النساء، ماذا يحصل لما يتناعون؟ يفشلوا، يعني

يتقاعسوا وتخور قواهم مثل القلب أو الكلى، تخور قوته وتفشل أعضاؤه، يموت، وهؤلاء تخور قواهم ويفشل اجتماعهم وينعدم إقدامهم على العمل، التنازع يفضي إلى الفشل لأنه يثير الغضب بين الأطراف ويزيل التعاون بينهم، وبدلا من أن نكون مجتمعين من أجل دفع هذه الفتنة القادمة علينا، يتربص بعضنا ببعض الدوائر، ونحدث نفوسنا بأن فلان يريد غيظي وفلان يريد رد قولي، وفلان يريد كذا، فبدلا من أن نشتغل بدفع المشكلة القادمة علينا وعلى أبنائنا، يحدث في نفوسنا الاشتغال باتقاء بعضنا بعض، يحاول كل منا أن يتقي الثاني.

نريد أن نجتمع من أجل إنجاز العمل وإرشاد الأبناء وخدمة مجتمعنا، في التنفيذ لا نجد نصيرا بعد أن كنا مجتمعين لخدمة هذا الموضوع الذي يهم الأمة ونريد أن ندفع الشر عن نفوسنا وعن أبنائنا وعن نسائنا، ينصرف كل واحد من هؤلاء المكونين للقوة إلى شغل آخر، فبدلا من أن نتوجه كلنا إلى شغل واحد فيه نفعنا جميعا ننصرف عن هذا فيتمكن منا العدو، وتذهب الريح. هذه الريح قوة سيهبكم الله إياها، فيصبح لأعمالكم أثر الريح تهب على القلوب فتنعشها وتحرك الماء الساكن الراكد في قلوب المفتونين فيتحرك الإيمان ويدخل إلى قلبهم شيء من اليقين، كان الله سيهبكم هذه الريح، فما الذي جعلكم متنازعين، تفشلون فيذهب عنكم ما ينفعكم، يذهب عنكم أثركم الذي سيجعله الله لكم.

الله شبه أثر المؤمنين المجتمعين لنصرة الدين، بالريح، لا يمانع جريها ولا عملها شيء، وهكذا أهل الإيمان، آثارهم كالريح على قلوب المؤمنين لا يمانع جريها ولا عملها شيء، فلا تزيلوا قوتكم ونفوذ أمركم بالتنازع الذي يفضي إلى التفرق ويوهن أمر المجتمعين على الخير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بعد هذه الأمور أمر الله عز وجل بشيء يعمّ نفعه على الناس، يعمّ نفع المرء في نفسه وعلاقته مع أصحابه والمتعاونين معه، ويسهل علينا الأمور الأربعة، أمرنا أن نثبت أمام أي مشكلة تواجهنا، أي مشكلة قادمة، أي فتنة نشعر بها، نثبت، نذكر ربنا، نطيع الله ورسوله، ولا نتنازع، هذ أربعة أمور، أمرنا الله بشيء سينفعنا وينفع كل من حولنا والناس الذين يعلمون معنا والذين نتعاون معهم، أنا وأبو أولادي، أنا وأخوال أولادي أنا وأعمام وعمات، كلنا أناس في مجتمعنا، نريد إصلاح أبناءنا، ماذا نفعل؟ نثبت نذكر الله، نطيع الله، ولا نتنازع. ثم يأتي أمر في غاية الأهمية لكل شيء؛ لي ولكل الناس الذين أتعاون معهم وهو **الصبر**، يقول لنا رب العالمين (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)، ما أعظم هذا الأمر!

اصبروا على ما يكون من مشاق، اصبروا على بعضكم البعض، اصبروا على اختلاف طباعكم، اصبروا على ما تجدون في أنفسكم من حرج في تقدم رأي غيركم على رأيكم، اصبروا فيما تجدونه من غيرة وحسد في قبول شخص وعدم قبولكم، اصبروا، تحملوا المكروه، تحملوا ما هو شديد على أنفسكم، لأن الصبر هو تحمل الشدائد والمصاعب التي قد تكون من أنفسنا وقد تكون من الناس الذين معنا، لا تنسحبوا وتتركون الميدان، لمن تتركون الميدان؟ اصبروا علّ الله يجعل في صبركم هذا بركة، اصبروا وصابروا ورابطوا، واعلموا أن الصبر دائما نتائجه خير، فلما تصبروا على مخالفة أهويتكم الداعية إلى التنازع هذا سيؤدي إلى الوفاق على المدى الطويل، الصبر يستلزم النصر فكيف بكم تتركونه؟

هذا الأمر بالصبر عليه تدور كل الأوامر الأربعة السابقة، في أن نثبت وفي أن نذكر وفي أن نطيع الله ورسوله وفي أن لا نتنازع، وهنا يحسن **نقل كلام ابن القيم رحمه الله**، في هذه الآية تعليقا على قوله تعالى:

(واصْبِرُوا إنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ) لأن هذه قيمة يجب أن نربي نفسنا عليها، يقول:

"أما بعد: فإن الله سبحانه جعل الصبر جوادا لا يكبو، وصارما لا ينبو، وجندا لا يهزم، وحصنا حصينا لا يهدم ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان فالنصر مع الصبر والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد. ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين فقال تعالى (واصْبِرُوا إنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ). فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة" لأن (مع) تعني أن الله معك، بمجرد حصول الصبر تتحقق لك معية الله، ومن يكون معه الله ظفر بخير الدنيا والآخرة، كما ذكر ابن القيم..

"وفازوا بها بنعمة الباطنة والظاهرة وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون: (وَجَعَلْنا مِنهم أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ).

وأخبر أن الصبر خير لأهله، مؤكدا باليمين فقال تعالى: (ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهو خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ)" هنا قسم، فالله يقسم أن الصبر خير لنا.

"وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط، فقال تعالى (وَإنْ تَصبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكم كَيْدُهم شَيْئًا إنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه وصلاه إلى محل العز والتمكين، فقال: (إنَّهُ مَن يَتَّقِ ويَصْبِرْ فَإنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنِينَ).

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فعقل ذلك عنه المؤمنون فقال تعالى: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكم تُفْلِحُونَ).

وأخبر عن محبته لأهله" لأهل الصبر.

"وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين، فقال تعالى: (واللَّهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ)" أنت في حبسك لنفسك عن أن تنازع في هذا الأمر أو في غيره أنت تتعرض لمحبة الله!

"ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون، فقال تعالى (وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ الَّذِينَ إذا أصابَتْهم مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا لِلَّهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِن رَبِّهِمْ -هذه الأولى- ورَحْمَةٌ -هذه الثانية- وأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ) -هذه الثالثة-

وأوصى عبادة بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين، فقال تعالى: (واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ وإنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلى الخاشِعِينَ).

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون، فقال تعالى: (إنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِما صَبَرُوا أنَّهم هُمُ الفائِزُونَ).

وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها إلا أولو الصبر المؤمنون، فقال تعالى: (وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ويْلَكم ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا ولا يُلَقّاها إلّا الصّابِرُونَ).

وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم، فقال: (وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هي أحْسَنُ فَإذا

الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ)، وأن هذه الخصلة لا يلقاها (إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم).

وأخبر سبحانه مؤكدا بالقسم: (إنَّ الإنْسانَ لَفي خُسْرٍ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ وتَواصَوْا بِالحَقِّ وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ)

وقسم خلقه قسمين أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة، وخص أهل الميمنة، أهل التواصي بالصبر والمرحمة، وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييز لهم بهذا الحظ الموفور، فقال في أربع آيات من كتابه: (إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ)". أهل الصبر والشكر هم المنتفعون بالآيات.

"وعلق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر وذلك على من يسره عليه يسير، فقال (إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولَئِكَ لَهم مَغْفِرَةٌ وأجْرٌ كَبِيرٌ)" فالأجر والمغفرة معلقان بالصبر والعمل الصالح.

"وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور فقال: (وَلَمَن صَبَرَ وغَفَرَ إنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزْمِ الأُمُورِ).

وأمر رسوله بالصبر لحكمه وأخبر أن صبره إنما هو به وبذلك جميع المصائب تهون فقال (واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإنَّكَ بِأعْيُنِنا)، وقال (واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاَّ بِاللَّهِ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولا تَكُ في ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ إنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هم مُحْسِنُونَ).

والصبر آخيّة المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها، وساق إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها، فلا إيمان لمن لا صبر له، وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف" من يفقد الصبر يكون إيمانه قليل في غاية الضعف.

"وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وأن أصابته فتنة انقلب على وجهه" نعوذ بالله من هذه الحال، كلما نقص الإيمان اقترب الإنسان من هذه العبادة التي تكون على حرف.

"خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

نسأل الله عز وجل أن يتفضل علينا بالصبر، وأن يعيننا على الثبات، وأن يصلح قلوبنا فنجتمع مع إخوتنا على الحق، نصرة للحق، حبا للحق، ولا نتنازع، نعوذ بالله من أمراض القلوب؛ الحسد والحقد، نسأل الله أن طهرنا ويجعل مقصودنا رضا رب العالمين وصلاح أنفسنا وصلاح أبنائنا وصلاح مجتمعنا، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.